

وَمِنْ لَمَزَةِ الثَّقَافَةِ وَالسِّيَاحَةِ وَالْإِشَادَةِ الْقَبُورِيِّ
مَطْبُوعَاتُ مُدِيرِيَّةِ إِحْيَاءِ الثَّرَاثِ الْقَدِيمِ

كِتَابُ الْقَوَافِي

تَأَلِيفُ
أَبِي الْحَسَنِ سَعِيدِ بْنِ مُسْعَدَةَ الْأَخْفَشِ
الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢١٥ هـ

عَنِ بَحْثِيْقِهِ
الدُّكْتُورِ عَزَّةَ حَسَنَ

دَمَشَقُ
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

- أبو الحسن الأوْفقْس : ثقافته وكتبه .
- كتاب القوافي : موضوعه وفيمنه .
- مخطوطة الكتاب .
- عملنا في تحقيق الكتاب .

أبو الحسن الأخفش

مؤلف هذا الكتاب هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة النحوي البصري المعروف بالأخفش^(١). والأخفش في اللغة الصغير العينين مع سوء بصرهما . والمشهورون بهذا اللقب من العلماء ثلاثة . أولهم أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد من أوائل علماء البصرة، وهو الأخفش الأكبر . وثانيها هو مؤلف هذا الكتاب، وقد عرف بالأخفش الأوسط . والثالث هو أبو الحسن علي بن سليمان المتوفى سنة ٣١٥، وهو الأخفش الأصغر . وكان يقال لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأصغر . فلما ظهر أبو الحسن علي بن سليمان عرف بالأصغر . وصار ذاك يعرف بالأوسط^(٢) .

* * *

نشأ أبو الحسن الأخفش في مدينة البصرة ، وعاش في النصف الأخير من القرن الثاني وأوائل القرن الثالث . وكانت البصرة في ذلك العهد أكبر مركز ثقافي في العالم العربي . وكانت الثقافة العربية قد بدأت تزدهر فيها منذ أوائل

(١) انظر ترجمة الأخفش في أخبار النحويين البصريين ٣٩ - ٤٠ ، ومراتب النحويين ٦٨ - ٦٩ ، وطبقات النحويين للزبيدي ٧٤ - ٧٦ ، والفهرست ٥٢ ، وإنباء الرواة ٣٦/٢ - ٤٣ ، ونزهة الألباء ١٨٤ - ١٨٨ ، ومعجم الأدباء ١١/٢٢٤ - ٢٣٠ ، ووفيات الأعيان ١٢٢/٢ - ١٢٣ ، وبغية الوعاة ٢٥٨ ، والمختصر في تاريخ البشر لأيام الغداة ٢٩/٢ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣٦/٢ .

(٢) وفيات الأعيان ١٢٣/٢ .

القرن الثاني ، وتعطي ثمارها الطيبة ، بدراسة اللغة العربية وتدوينها ، ورواية شعر العرب القديم وتدوينه أيضاً ، ودراسة غيرهما من فنون الثقافة العربية ، وتأليف الكتب فيها جميعاً .

وقد نشأ في البصرة في هذا القرن علماء أفذاذ كبار ، يعدون أكبر علماء العربية إلى اليوم . نذكر منهم أبا عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٠ ، وهو شيخ علماء البصرة وكبيرهم . وكان عالماً باللغة والشعر . وعنه روى العلماء جملة كبيرة من اللغة وشعر العرب القديم .

ونذكر من علماء البصرة في القرن الثاني أبا عبد الرحمن الحليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠ . وهو أول من وضع معجماً للألفاظ في اللغة العربية . ونذكر كذلك من هؤلاء العلماء أبا بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه والمتوفى سنة ١٨٠ . وكان رأس علماء البصرة في عهده . وقد وضع في النحر العربي كتاباً عظيماً كان أكبر كتاب وضع في موضوعه وأجوده . وما زال أكبر كتاب في هذا الموضوع وأحسنه إلى اليوم .

* * *

صحب أبو الحسن الأخفش أول أمره الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ودرس عليه^(١) . وكان الحليل عالماً باللغة والنحو ، وكان إلى جانب ذلك بارعاً في العروض والقوافي والنغم . وهو أول من استخرج العروض ، وحصن به أشعار العرب ، كما يقول ابن النديم^(٢) . وقد استقرى هذا العلم وبحور الشعر من شعر العرب القديم . ومن هنا جاء أبا الحسن الأخفش اهتمامه بالعروض والقوافي ومعرفته بها . وهو الذي استدرك على أستاذه الحليل بحر الحبب^(٣) الذي يعرف أيضاً بالمتدارك ،

(١) طبقات النحويين للزبيدي ٧٤ .

(٢) الفهرست ٤٢ .

(٣) وفيات الأعيان ١٢٣/٢ .

لأن أبا الحسن الأخفش تداركه بعد أن غاب عن علم الخليل . وهو البحر
السادس عشر بين بحور الشعر المعروفة في علم العروض .

* * *

ثم صعب أبو الحسن الأخفش عالم النحو الأكبر ورأس علماء البصرة في
زمانه سيويه ، فدرس عليه ، وأخذ عنه النحو مع أنه كان أكبر سنًا من سيويه^(١) .
فحذق النحو ، وبرع فيه ، حتى صار من مشاهير نحويي البصرة^(٢) . قال ابن قتيبة
في كتاب المعارف : « وحدثنا الرباعي قال ، سمعت الأخفش يقول : كان
سيويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرضه عليّ ، وهو يرى أنني أعلم منه . وكان
أعلم مني ، وأنا اليوم أعلم منه »^(٣) . والحقيقة أنه كان أحـذق أصحاب سيويه
بالنحو وبكتاب سيويه ، وأعلم من أخذ عن سيويه^(٤) .

وعلى أبي الحسن الأخفش قرىء كتاب سيويه بعد وفاته ، وعنه أخذ ،
فكان هو الطريق إلى كتاب سيويه . وذلك أن سيويه لم يقرأ أحد كتابه عليه ،
ولا قرأه سيويه على أحد^(٥) . ولما مات سيويه قرىء الكتاب على أبي الحسن
الأخفش . وكان أول من قرأه عليه أبا عمر الجرمي وأبا عثمان المازني . فكان
ذلك سبباً في إظهار الكتاب وإشاعته بين الناس^(٦) . ولم يُسند كتاب سيويه

(١) أخبار النحويين البصريين ٣٩ ، ومراتب النحويين ٦٨ .

(٢) أخبار النحويين البصريين ٣٩ ، ومراتب النحويين ٦٨ .

(٣) كتاب المعارف ٥٤٦ ، ومراتب النحويين ٦٩ .

(٤) أخبار النحويين البصريين ٣٩ ، ونزهة الألباء ١٨٤ .

(٥) أخبار النحويين البصريين ٣٩ ، والفهرست ٥٢ .

(٦) نزهة الألباء ١٨٥ - ١٨٦ .

إليه إلا بطريق الأخفش، فإن كل الطرق مستندة فيها إليه^(١). وقد تكلم عليه،
وشرحه وبينه^(٢).

وكان ممن قرأ كتاب سيبويه على أبي الحسن الأخفش الكسائي رأس
علماء الكوفة في زمانه. وقد جاء الكسائي الأخفش من الكوفة إلى البصرة،
وسأله أن يقرأ عليه كتاب سيبويه. ففعل وأقرأه الكتاب. فوجه إليه الكسائي
أجراً على ذلك دنانير وفيرة^(٣). ويقال إنه قرأه عليه سرّاً حين اتصل به في بغداد.

* * *

وروى أبو الحسن الأخفش أشعار العرب عن حماد بن الزبرقان. وكان
حماد هذا من رواة الأشعار في البصرة^(٤). وحذق الأخفش هذا الفن أيضاً، وبرع
فيه كما برع من قبل في العروض والقوافي والنحو، حتى صار يقال له الأخفش
الرواية^(٥)، وصار يلي الأشعار، ويشرح غريبها. وقد ألف كتاباً في معاني
الشعر^(٦). وكانت له طريقة خاصة في شرح الشعر، وذلك أنه كان يلي غريب
كل بيت من الشعر نخته. وهو أول من ابتدع هذه الطريقة في شرح الشعر^(٧).
وقد صارت هذه الطريقة بعد الأخفش خطة عامة سار عليها العلماء في شرح الأشعار.

* * *

وهكذا تتبين لنا ضروب الثقافة التي نالها أبو الحسن الأخفش وأبعادها

(١) نزّه الألباء ١٨٦.

(٢) مراتب النحويين ٦٨.

(٣) أخبار النحويين البصريين ٤٠، وإنباء الرواة ٤٠/٢.

(٤) الفهرست ٥٢، وإنباء الرواة ٤١/٢، والخزافة ١٣٢/٤.

(٥) طبقات النحويين للزبيدي ٧٦، وإنباء الرواة ٣٩/٢.

(٦) الفهرست ٥٢، وإنباء الرواة ٤٢/٢.

(٧) طبقات النحويين للزبيدي ٧٦، وإنباء الرواة ٣٩/٢.

العامّة . فقد رأينا أنه أخذ القوافي والعروض خاصة عن الحليل بن أحمد . وأخذ النحو خاصة عن سيبويه ، وكان أخذه عن الحليل أيضاً . وروى الأشعار عن حماد بن الزبرقان من رواية البصرة . وفي نتيجة ذلك كله نجم أبو الحسن الأخفش عالماً كبيراً من علماء العربية الأوائل الذين أرسوا قواعد الثقافة العربية، ووضعوا أصولها الأولى . وكان له في كل فن من الفنون المذكورة مذاهب مشهورة ، وأقوال مذكورة^(١) عند علماء العربية . حتى قال فيه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : « كان أوسع الناس علماً »^(٢) . وأبو العباس ثعلب من أكبر علماء العربية في القرن الثالث ، وكان يحل أبا الحسن الأخفش ويقدمه ، وهو كوفي والأخفش بصري كما عرفنا . وقال أبو العباس ثعلب : « حدثني سعيد بن سلم قال : دخل الفراء على سعيد بن سلم ، فقال : قد جاءكم سيد أهل اللغة ، وسيد أهل العربية ! فقال الفراء : أما مادام الأخفش ، يعني سعيد بن مسعدة ، يعيش فلا^(٣) » . وكان الكسائي يراه أعلم البصريين^(٤) .

* * *

وقصد أبو الحسن الأخفش بغداد بعد ما شهّر وعرف شأنه بين الناس ، وأقام بها مدة^(٥) . ويبدو أن قدومه بغداد كان بعد المناظرة الشهيرة التي جرت في بغداد بين شيخه وأستاذه سيبويه رأس علماء البصرة وبين الكسائي رأس علماء الكوفة والمقرب إلى الخلفاء ورجال الدولة في بغداد . واتصل الأخفش بالكسائي في بغداد ، فأكرمه وجعله معلماً لأولاده . ولذلك حكاية غريبة

(١) نزّه الألباء ١٨٨ .

(٢) أخبار النحويين البصريين ٤٠ ، وإنباء الرواة ٢/٤٠ .

(٣) إنباء الرواة ٢/٣٩ .

(٤) مراتب النحويين ٦٨ .

(٥) بغية الوعاة ٢٥٨ .

طريقة حكايها الأخفش نفسه فقال : « فلما دخل إلى شاطيء البصرة (أي سيويه بعد المناظرة) ، وجهته إليّ فجئته . فعرفتني خبره مع البغدادي ، وودعني ومضى إلى الأهواز . وتزودت وجلست في 'ممارية' (١) حتى وردت بغداد . فوافيت مسجد الكسائي ، فصليت خلفه الغداة . فلما انقضى من صلاته ، وقعد في محرابه ، وبين يديه الفراء والأحر وهشام وابن سعدان ، سألته عن مائة مسألة ، فأجاب عنها بجوابات خطائمه في جميعها . وأراد أصحابه الوثوب عليّ ، فمنعهم من ذلك ، ولم يقطعني مارأيتم عليه بما كنت فيه . فلما فرغت من مائة مسألة قال الكسائي : بالله أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ! قال ، قلت : نعم . فقام إليّ فعانقني وأجلسني إلى جانبه . ثم قال لي : أولادي أحب أن يتأدبوا بك ، ويُخَرَّجوا على يدك ، وتكون معي غير مفارق لي . وسألني ذلك ، فأجبت (٢) .

وآثار الوضع بادية على هذه القصة الطريفة . ولكنها تدل مع ذلك على صلة أبي الحسن الأخفش بالكسائي في بغداد ، وحسن هذه الصلة بينهما ودوامها .

* * *

وفي بغداد اتصل الأخفش بالعلماء ، وجلس للتدريس والرواية ، وصنف الكتب (٣) . ذكر أبو بكر الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين ما يلي : « قال أبو العباس أحمد بن يحيى : أول من أملى غريب كل بيت من الشعر تحت الأخفش . وكان ببغداد ، وكان الطوسي مستحليه . قال : ولم أدر كه لأنه كان قبل عصرنا . وكان يقال له : الأخفش الراوية (٤) » .

(١) ضرب من المراكب النهرية .

(٢) طبقات النحويين للزبيدي ٤٢-٤٣ ، وإنباء الرواة ٣٦/٢ - ٣٧ .

(٣) طبقات النحويين للزبيدي ٧٥ ، ونغية الوعاة ٢٥٨ .

(٤) طبقات النحويين للزبيدي ٧٦ ، وإنباء الرواة ٣٩/٢ .

وتوفي أبو الحسن الأخفش سنة ٢١٥ ، وفي رواية أخرى في سنة ٢٢١^(١) .
ولاندري إذا كانت وفاته في بغداد أم في البصرة .

* * *

ألف أبو الحسن الأخفش كتباً مختلفة في الفنون التي برع فيها من فنون
الثقافة العربية . وقد ذكر له ابن النديم الكتب التالية في كتاب الفهرست^(٢) :

- ١ - كتاب الأوسط في النحو .
 - ٢ - كتاب تفسير معاني القرآن .
 - ٣ - كتاب المقاييس في النحو .
 - ٤ - كتاب الاستقاق .
 - ٥ - كتاب الأربعة .
 - ٦ - كتاب العروض .
 - ٧ - كتاب المسائل الكبير .
 - ٨ - كتاب المسائل الصغير .
 - ٩ - كتاب القوافي .
 - ١٠ - كتاب الملوك .
 - ١١ - كتاب معاني الشعر .
 - ١٢ - كتاب وقف التمام .
 - ١٣ - كتاب الأصوات .
 - ١٤ - كتاب صفات الغم وألوانها وعلاجها وأسنانها .
- وقد أورد القفطي أسماء هذه الكتب في كتابه إنباه الرواة على أنباه
النحاة^(٣) بتمامها وترتيبها كما وردت في الفهرست . وهذا يدل على أنه أوردتها

(١) إنباه الرواة ٤١/٢ ، والفهرست ٥٢ .

(٢) الفهرست ٥٢ .

(٣) إنباه الرواة ٤٢/٢ .

نقلًا عنه . وذكر القفطي اسم كتاب لم يذكره ابن النديم في الفهرست ، هو :
١٥ - كتاب التصريف .

ولم يصلنا من هذه الكتب غير كتاب القوافي الذي حققناه وأخرجناه
في هذه الطبعة .

وقد ذكر معظم هذه الكتب لأبي الحسن الأخفش ياقوت الحموي في
معجم الأدباء^(١) ، كما ذكر جملة منها ابن خلكان في وفيات الأعيان^(٢) ، والسيوطي
في بغية الوعاة^(٣) ، وحاجي خليفة في كشف الظنون^(٤) .

(١) معجم الأدباء ١١/٢٣٠ .

(٢) وفيات الأعيان ٢/١٢٣ .

(٣) بغية الوعاة ٢٥٨ .

(٤) كشف الظنون ٢٠١ ، ١٣٩١ ، ١٤٣٨ ، ١٤٥١ ، ١٤٦٣ ، ١٦٧٠ ،

١٧٢٩ ، ١٧٣٠ .

كتاب القوافي

هذا الكتاب من أقدم الكتب المؤلفة في باب القوافي إن لم يكن أقدمها إطلاقاً . وهو على كل حال أقدم كتاب وصل إلينا في هذا الباب . وبعد لذلك من الأصول القديمة الأولى في الثقافة العربية .

ضمن المؤلف كتابه بيان القواعد التي اتبعتها شعراء العرب والقيود التي التزموها في قوافي أشعارهم ، وتفسير هذه القواعد والقيود . وهي قواعد محكمة صارمة ، وقيود شديدة ثقيلة ، تهبط من لم يؤت موهبة الفن وأصالة الابتكار وملكة الإبداع ، فينوء تحت شدتها وثقلها . ثم ذكر العيوب التي كان يقع فيها شعراء العرب حين خروجهم على هذه القواعد الموضوعية والقيود المفروضة . ويتبين لنا ذلك في يسر حين نلقي نظرة على أسماء أبواب الكتاب . هذا بيان موجز لمضمون الكتاب .

وروى المؤلف ما أورده في كتابه من معارف وأصول في فن القوافي عن العرب الفصحاء مباشرة . وكان يسمع منهم أقوالهم ، أو يسألهم ويستفسر منهم عن أمورهم أو تشكل عليه في هذا الموضوع ، ويثبت هذه الأقوال ، ويضع القواعد ، ثم يسوق الدلائل والشواهد على آرائه ومذاهبه وقواعده من شعر العرب القديم ورجزم . قال مثلاً في موضوع الإكفاء وهو عيب من عيوب الشعر في القافية : « سألت العرب الفصحاء عن الإكفاء فإذا هم يجعلونه الفساد في آخر الشعر والاختلاف من غير أن يجدوا في ذلك شيئاً . إلا أنني رأيت بعضهم يجعله اختلاف الحروف ، وأنشدته :

كأن فا قارورة لم تعفص
منها حجاجا مقلة لم تلخص
كأن صيران المها المنقر

فقال : هذا إكفاء . وأنشده آخر قوافي على حروف مختلفة ، فعابه ، ولا أعلمه إلا قال : قد أكفأت . إلا أنني رأيتهم إذا قربت مخارج الحروف ، أو كانت من مخرج واحد ، ثم اشتد تشابهها ، لم يفتن لها عامتهم . والمكفا في كلامهم هو المقلوب . وإلى هذا يذهبون ،^(١) . وما أكثر مثل هذه الأقوال التي انتشرت في تضاعيف الكتاب .

وكذلك أخذ أبو الحسن الأخفش جملة من المعارف والآراء التي أدرجها في الكتاب من شيخه الأول الخليل بن أحمد الفراهيدي . والخليل هو الأستاذ الأول الذي شغل بطني العروض والقوافي في الثقافة العربية ، واستنبط وأحصى كثيراً من أحكامها وقواعدها من شعر العرب القديم . وقد تردد اسم الخليل عشرات المرات في صفحات الكتاب القلائل . قال الأخفش مثلاً بعد أن أحصى حروف القافية وحرركاتها : « فهذا جميع ما ذكره الخليل من اللوازم في القوافي من الحروف والحركات »^(٢) .

وأورد المؤلف في كتابه أقوالاً وآراء لعلماء آخرين أيضاً ، مثل أبي عمرو ابن العلاء والمفضل الضبي ورؤبة بن العجاج ويونس بن حبيب وأبي عثمان المازني وغيرهم . وكان يذكّرهم أحياناً بأسمائهم ، ويسند أقوالهم إليهم ، كما كان يسميهم أحياناً أخرى « أهل العلم » ، أو « من أتق به » .

وما كان أبو الحسن الأخفش ليكتفي بالرواية عن العرب الفصحاء . وإنما

(١) كتاب القوافي ٤٣ .

(٢) كتاب القوافي ٣٤ .

كان ينظر في رواياتهم ، ويقومها ليستنبط منها القواعد والأصول في فن القوافي .
وما كان ليكتفي كذلك بإيراد أقوال أستاذه الحليل وآراء العلماء الآخرين في
هذا الفن . وإنما كان يقابل بين هذه الأقوال والآراء ، ويزن بعضها ببعض ناقداً
محققاً ، ثم يصححها إذا لزم الأمر بالرجوع إلى أقوال العرب الذين يسمع منهم ،
أو بالرجوع إلى أشعار العرب وأرجازهم القديمة . قال مثلاً في كلامه على التأسيس :
« وقال أبو النجم :

وطالما وطالما وطالما

غلبت عاداً وغلبت الأعجبا

فلم يجعل الألف تأسيساً ، لأنه أراد أصل ما كانت عليه (طال) و (ما)
إذا لم يجعلها كلمة واحدة . وهو قد جعلها كلمة واحدة . وكان القياس أن يجعلها
تأسيساً ، لأنها صارا كلمة واحدة . ولولا أن ذا جاء ما أجزأه .

وإنما جاز في ألف (كاهما) و (ماهيا) إلا أن تكون تأسيساً ، ولم يجز
إلا أن تكون ردفاً في المنفصل ، لأن التأسيس متراع عن حرف الروي ، بينه
وبينه حرف قوي ، فصار كأنه ليس من القافية . حتى دعاهم ذلك إلى أن أجازوا
مع الألف التي في كلمة الروي غيرها من الحروف . قال العجاج :

يا دار سلمى ، يا سلمى ثم سلمى

ثم قال :

فخندف هامة هذا العالم

وكان رؤبة ، فيما بلغني ، يعيب هذا . وهو قليل قبيح ^(١) ، . وأشبه هذا

(١) كتاب القوافي ٢٦ - ٢٧ .

الكلام كثيرة في الكتاب . ولذلك كثرت الشواهد التي أوردها بين دفتيه من أشعار العرب وأرجازهم القديمة .

* * *

وقد اطلع على هذا الكتاب ، فيما يبدو لي ، جميع العلماء الذين جاؤوا بعد أبي الحسن الأخفش ، ووضعوا كتباً في باب القوافي . فأفادوا منه ، ونقلوا عنه ، واقتبسوا طرفاً من عباراته وألفاظه ، واستقوا من شواهده وأقواله ، كما فعل أبو العلاء المعري في مقدمة اللزوميات مثلاً . ونقل عنه أيضاً أصحاب معجمات اللغة حين شرح الألفاظ والمصطلحات المستعملة في فن القافية . وقد رأيت ابن منظور صاحب معجم لسان العرب ينقل نقولاً كثيرة من هذا الكتاب ، وينثرها في معجمه الكبير ، ولا سيما حين كلامه على الألفاظ والأسماء الموضوعة لعيوب القافية ، ويعزو هذه النقول إلى الأخفش صاحب الكتاب .

وقد تتبععت ما نقله ابن منظور إلى معجمه ، وقابلته بما جاء في أصل الكتاب ، فتبين لي أن ابن منظور ينقل كلام أبي الحسن الأخفش في كتابه كما هو دون تغيير يذكر . وإليك أمثلة من هذه النقول التي وردت في معجم لسان العرب :

١ - جاء في لسان العرب (كفاً) : « قال الأخفش : زعم الحليل أن الإكفاء هو الإقواء . وسميته من غيره من أهل العلم . قال : وسألت العرب الفصحاء عن الإكفاء فإذا هم يجعلونه الفساد في آخر البيت والاختلاف من غير أن يجدوا في ذلك شيئاً . إلا أنني رأيت بعضهم يجعله اختلاف الحروف . فأنشدته :

كان فاقارورة لم تعفص
منها حجاجا مقلة لم تلخص

كأن صيران المها المنقز

فقال : هذا إكفاء . وأنشد آخر قوافي على حروف مختلفة ، فعابه ،
ولا أعله إلا قال له : قد أكفأت . وهذا من كلام أبي الحسن الأخفش
في كتاب القوافي (١) .

٢ - وجاء في لسان العرب (وطأ) : « وقال الأخفش : الإيطاء رد
كلمة قد قفّيت بهامرة ، نحو قافية (على رَجُلٍ) وأخرى (على رَجُلٍ) في
قصيدة . فهذا عيب عند العرب ، لا يختلفون فيه ، وقد يقولونه مع ذلك » .
وهذا من كلام أبي الحسن الأخفش أيضاً (٢) .

٣ - وجاء في لسان العرب (سند) : « وقال الأخفش بعد أن خصص
كيفية السناد : أما ما سمعت من العرب في السناد فإنهم يجعلونه كل فساد في آخر
الشعر ، ولا يجدون في ذلك شيئاً . وهو عندهم عيب قال : ولا أعلم إلا أني
قد سمعت بعضهم يجعل الإقواء سناداً . وقد قال الشاعر :

فيه سناد وإقواء ونحر يد

فجعل السناد غير الإقواء ، وجعله عيباً . وهذا أيضاً من كلام الأخفش
في كتاب القوافي (٣) .

* * *

وأما هذه الألفاظ أو المصطلحات الموضوعة لأسماء القافية ولوازمها من
الحروف والحركات ولعيوبها وغير ذلك من الأسماء المستعملة في هذا الفن فنراها من
وضع العلماء الذين تكلموا في فن القافية ، أو وضعوا فيه كتباً على مر الأيام ،

(١) انظر كتاب القوافي ٤٣ .

(٢) انظر كتاب القوافي ٥٥ - ٥٦ .

(٣) انظر كتاب القوافي ٥٥ .

ومنهم أبو الحسن الأخفش صاحب هذا الكتاب . وربما كان بعضها من استعمال فصحاء العرب أنفسهم ، أخذها عنهم العلماء واستعملوها في كلامهم وكتبهم وفي هذا الكتاب ما يشير إلى ذلك قال المؤلف مثلاً في كلامه على الإكفاء : « وزعم الخليل أن الإكفاء هو الإقواء . وقد سمعته من غيره من أهل العلم وسألت العرب الفصحاء عن الإكفاء ، فإذا هم يجعلونه الفساد في آخر الشعر والاختلاف من غير أن يجدوا في ذلك شيئاً . إلا أنني رأيت بعضهم يجعله اختلاف الحروف ، (١) .

وقد ذكر أبو العلاء المعري هذه المسألة في مقدمة الزوميات ، فقال كلاماً يقري مذهبنا إليه في وضع هذه الأسماء واستعمالها في فن القافية . قال أبو العلاء : « ويقال : إن الخليل لم يذكر الإشباع ، وإن سعيد بن مسعدة ذكره . فيجوز أن يكون اسماً وضعه ، ويجوز أن يكون تلقاه عن قبله من أهل العلم . وقد رئي في القوافي كتاب للفراء ، وكتاب لخلف بن حيان . فإن لم يتخللوا من ذكر الإشباع فهذا يدل على أن سعيد بن مسعدة أخذ هذا الاسم عن غيره ، إذ كان هذان الرجلان في القدم نظيره . ويجب أن يكون خلف مات قبله مدة طويلة . فأما موته وموت الفراء فمتقاربان .

وهذه الأسماء لا يعقل مثلها سكان العمدة . فإن كانت تلقيت عن العرب فيجب أن يكون من أخذ عنه ذلك يعرف حروف المعجم ، ويقرأ الصحف . وقد كان فيهم رجال يقرؤون ويكتبون ، ويعرفون مواقع الحروف . وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في المصنف (٢) باباً للقوافي ، وأسند

(١) كتاب القوافي ٤٣ .

(٢) يريد كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وهو مخطوط لم يطبع بعد .

بعض ألقابها عن الشيوخ . فهذا يدل على أنه كان يعتقد أنها مأخوذة عن العرب
كما تؤخذ عنهم اللغة . فإن كان الأمر على ماذهب إليه فيحق أن يكون المأخوذ
عنه متميزاً من الطعام ، لا يجهل منزلة الميم من النون ، ولا الباء من الفاء . (١)

* * *

وقد شرح أبو الفتح ابن جني المتوفى سنة ٣٧٢ كتاب القوافي لأبي
الحسن الأخفش في كتاب له سماه المعرب . وقد ذكر هذا الكتاب ابن جني
نفسه في كلام له نقله عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب من كتاب إعراب
الحماسة لابن جني نفسه أيضاً (٢) .

وقد نقل ابن منظور صاحب معجم لسان العرب من كتاب المعرب لابن
جني نقولاً كثيرة في معجمه حين شرح الأسماء المستعملة في فن القوافي . ودرج
ابن منظور على نقل كلام ابن جني بعد إيراد كلام أبي الحسن الأخفش في أغلب
الأحيان . وهذه أمثلة من كلام ابن جني الذي نقله ابن منظور من كتابه المعرب
دون أن يذكر اسم الكتاب . وليس من عادة ابن منظور أن يذكر أسماء
الكتب التي ينقل منها .

١ - جاء في لسان العرب (وطأ) : « وقال الأخفش : الإبطاء رد
كلمة قد فقيت بها مرة ، نحو قافية (على رَجُل) وأخرى (على رَجُل) في
قصيدة . فهذا عيب عند العرب ، لا يختلفون فيه ، وقد يقولونه مع ذلك (٣) .
قال النابغة :

(١) شرح لزوم مالا يلزم للدكتور طه حسين وإبراهيم الإبياري ، مقدمة
المعري ٢٣ - ٢٤ .

(٢) خزانة الأدب ٣٣١/٢ .

(٣) انظر كتاب القوافي .

أو أضع البيتَ في سوداء مظلمة تقيّد العير لا يسري بها الساري
ثم قال :

لا يخفض الرز عن أرض ألم بها ولا يضل على مصباحه الساري
قال ابن جني : ووجه استقباح العرب الإبطاء أنه دال عندهم على قلة مادة
الشاعر ، ونزارة ما عنده ، حتى يضطر إلى إعادة القافية الواحدة في القصيدة بلفظها
ومعناها ؛ فيجري هذا عندهم لما ذكرناه مجرى العي والحصر . وأصله أن يبطأ
الإنسان في طريقه على أثر وطء قبله ، فيعيد الوطء على ذلك الموضع . وكذلك
إعادة القافية هو من هذا .

٢ - جاء في لسان العرب (قوا) : ه وقال الأخفش : الإقواء رفع
بيت وجر آخر ، نحو قول الشاعر :

لأبأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير
ثم قال :

كأنهم قصب جوف أسافله مثقب ، نفخت فيه الأعاصير
قال : وقد سمعت هذا من العرب كثيراً ما لا أحصي . وقلّت قصيدة
ينشدونها إلا وفيها إقواء ، ثم لا يستنكرونه لأنه لا يكسر الشعر . وأيضاً فإن
كل بيت منها كأنه شعر على حياله ^(١) . قال ابن جني : أما سمعه الإقواء عن
العرب فبحيث لا يرتاب به . لكن ذلك في اجتماع الرفع مع الجر . فأما مخالطة
النصب لواحد منها فقليل ، وذلك لمفارقة الألف الياء والواو ، ومشابهة كل
واحدة منها جميعاً أختها .

وأمثال هذه النقول كثيرة في معجم لسان العرب ، نجتزئ منها بإيراد
المثالين اللذين ذكرناهما آنفاً .

(١) انظر كتاب القوالي ٤٢ .

مخطوطة الكتاب

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب وإخراجه على نسخة مخطوطة له فريدة في العالم ، لاأخت لها فيما نعلم . وهي موجودة ضمن مجموع مخطوط محفوظ في خزانة حسين جلبي في مدينة بروسة بتركية برقم ٨٧٩ .

يضم هذا المجموع المخطوط بين دفتيه ثلاثة كتب هي :

١ - كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش ، وهو يشغل ٣٢ ورقة من أول المجموع .

٢ - كتاب التبيان في علمي المعاني والبيان للقاضي الزمלקاني المعروف بابن خطيب زملكا والمتوفى سنة ٦٥١ .

٣ - الوجيزة الكافية في العروض والقافية من نظم أحمد بن عبد الله بن عبد الله الأندلسي الوادي آشي الحنفي المعروف بابن المهاجر والمتوفى سنة ٧٣٩ كما جاء في كشف الظنون ^(١) .

كتب المجموع كله ابن المهاجر نفسه ناظم الكتاب الثالث في المجموع المخطوط بخط نسخ معتاد مشكول بعض الشكل ، وذلك في اليلة المسفر صباحها عن تاسع جمادى الآخرة سنة ٧٣٤ كما جاء في آخر كتاب التبيان في علمي المعاني والبيان [١٣٣] ^(٢) . وهذا يوفر لنسختنا المخطوطة أهمية ، ويجعل لها مكانة

(١) كشف الظنون ٢/٢٠٠٤ .

(٢) انظر النماذج المصورة من الأصل المخطوط في آخر مقدمتنا .

خاصة ، لأن الناسخ ابن المهاجر كان عارفاً بعلمي العروض والقافية وصاحب تأليف فيهما .

وكنيت سمعت وأنا أشتغل بتحقيق الكتاب أن له نسخة مخطوطة أخرى محفوظة في مكتبة مدينة طنطا بمصر فسعيت للحصول على نسخة مصورة عنها فلم أفلح . ثم لقيت صديقي العلامة محمد بن تلويت الطنجي ذات يوم في استانبول ، فجلسنا نتحدث ملياً . فأخبرته في أثناء الحديث بأشتغالي في هذا الكتاب على مخطوطة حسين جلبي في بروسة وحدها ، وأشارت أيضاً في أثناء ذلك إلى صعوبة الحصول على صورة من مخطوطة مكتبة طنطا . فاستوقفني وتبسم ضاحكاً ، وقال : عندي نسخة منقولة عن هذه المخطوطة . وفرحت لهذا النبأ في ذلك الحين .

وبعد أيام كانت هذه النسخة بين يدي أنظر فيها . فرأيت في صفحة العنوان مكتوباً بخط العلامة الطنجي :

« كتاب العروض والقوافي للأخفش

نقل عن نسخة المكتبة الأحمديّة بطنطا المحفوظة تحت رقم خ ٣٨ / ع ٤٨٦٥ عروض وقوافي .

وخط النسخة جميل وصحيح . وعلى بعض هوامش النسخة تعليقات ، وهي قليلة . س ١٥ . وعدة أوراقها ١٤ .

أما نسخة الكتاب فمكتوبة بخط رديء ليس هو خط العلامة الطنجي . ولدى فحص هذه النسخة تبين لنا أنها تتضمن حقاً كلاماً في فن القافية . ولكنها شيء آخر غير كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش ، ولا صلة لما فيها بهذا الكتاب البتة .

وهكذا بقيت مخطوطة خزانة حسين جلبي في بروسة هي النسخة الفريدة التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب وإخراجه .

* * *

عملنا في تحقيق الكتاب :

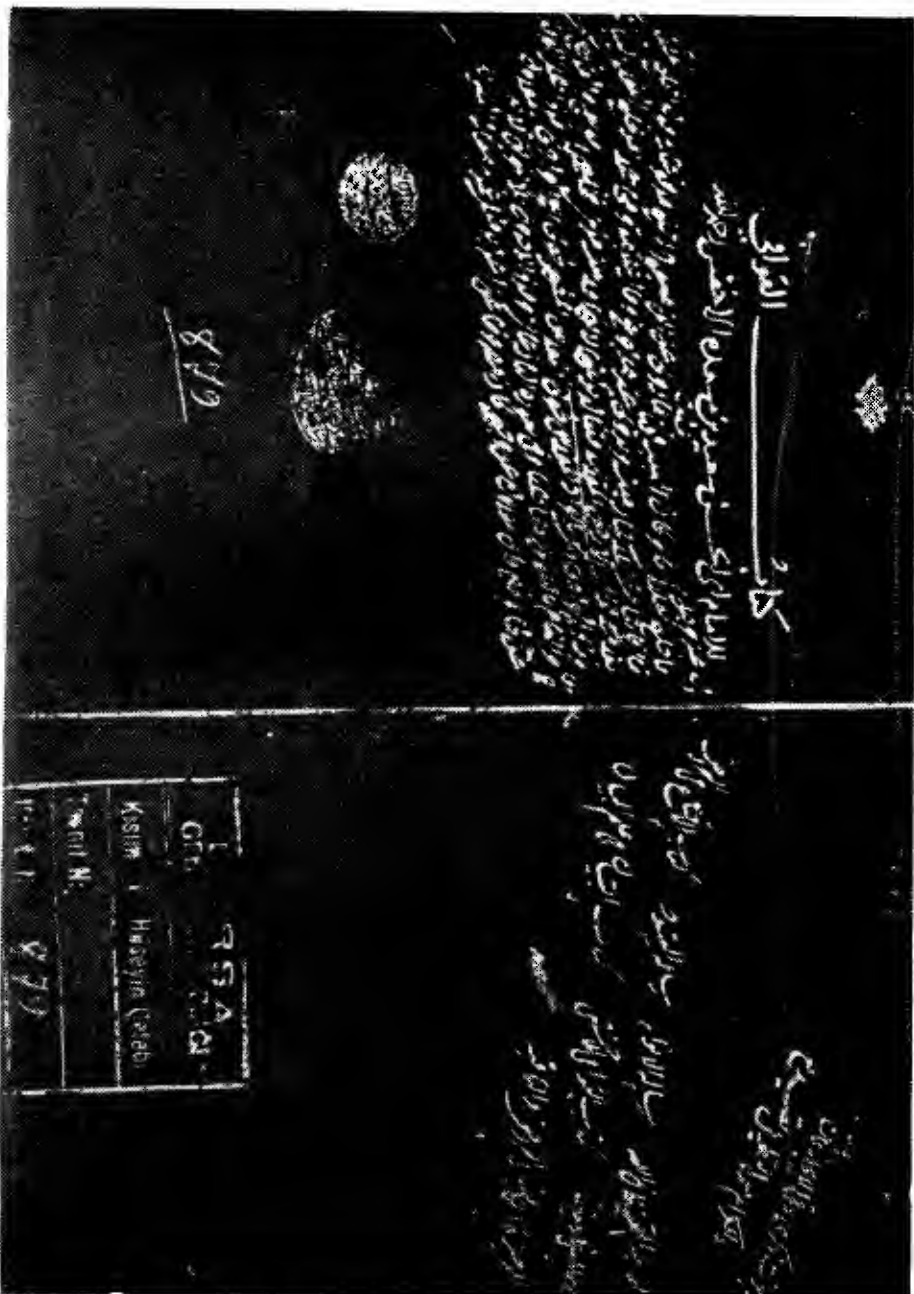
كان العمل في تحقيق هذا الكتاب سهلاً ميسوراً ، لم يكلفنا جهداً كبيراً ولا وقتاً طويلاً . فقد كانت نسخته المخطوطة جيدة قوية ، كما كان كاتبها عارفاً متقناً . فكان جل اهتمامنا لذلك منصرفاً قبل كل شيء إلى ضبط نص الكتاب وإخراجه صحيحاً محققاً ، إذ هو أصل قديم من أصول الثقافة العربية كما بينا ، له أسلوب خاص في التعبير وتركيب الكلام .

وقد وجدنا في النسخة المخطوطة تصحيقات قليلة ، وبعض السقط القليل أيضاً . فقومنا هذه التصحيقات ، وأكملنا النص الناشئ عن السقط . وشرحنا بعد ذلك أشياء يسيرة في بعض مواضع من الكتاب وأبناهاً تحتاج إلى شرح وإيضاح ، ولكننا لم نغفل في هذا الأمر . على أننا سعينا جهدنا في تخريج شواهد الكتاب من الأشعار والأرجاز ، وهي كثيرة ، مع شرحها والتعليق عليها حين الحاجة إلى ذلك . وحاولنا أن نعزو إلى أصحابها ما تركه أبو الحسن الأخفش بغير عزو .

هذا وإذنا نرجو أن يكون في نشر هذا النص الأصيل عون وفائدة للباحثين في الثقافة العربية وأصولها .

* * *

وفي الختام نبذل الشكر خالصاً إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي لقيامها بنشر هذا الكتاب . ونخص بالشكر الأستاذ الدكتور عبد الهادي هاشم معاون الوزير لمؤازرته لنا ورعايته عملنا ، والأستاذ محمد المصري في مديرية إحياء التراث القديم في الوزارة لإشرافه على طبع الكتاب وقيامه بالتصحيح أثناء طبعه .



صورة صفحة العنوان من الأصل المخطوط

حافظ القبان
في علمي لسانه

[The page contains dense handwritten text in cursive script, likely from a historical manuscript or letter.]

[illegible][illegible]

8-17-60
8-18-60
72

الذي يجمع بينه الخايبه

والذي يجمع بينه الخايبه
نظمه الامير المصطفى السابك له عليه السلام
الاراد ان يشي الخضر عزير في الدنيا جنة الله عز وجل

والذي يجمع بينه الخايبه
الذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه

والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه

والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه

والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه

والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه

البرق الابرار

البرق الابرار
الذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه

الذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه

الذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه

الذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه

الذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه

الذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه

الذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه
والذي يجمع بينه الخايبه

